الفصل الثالث

ظواهر صوتية خاصة في المماثلة والتخفيف

١. مضارعة بعض الحروف الزاي.

٢. التحولات التي يمكن أن يتعرض لها حرف السين.

٣. استعمالات بنيوية خاصة للتخفيف.

oberkandi.com

ظواهر صوتية خاصة في المماثلة والتخفيف

قدم سيبويه – في نهاية باب الإدغام- جانباً لبعض الظواهر الصوتية الخاصة التي تعرض لبعض الكلمات بسبب المماثلة الصوتية، أو بهدف إحداث نوع من التخفيف في أثناء عملية النطق. وسنقدم –في الصفحات الآتية- عرضاً وتحليلاً لبعض الأمثلة التي قدمها سيبويه لهذه الظواهر:

(١) مضارعة بعض الحروف للزاي:

أ. مضارعة الصاد للزاي:

ذهب سيبويه، إلى أن وقوع الصاد ساكنة قبل الدال في الكلمة من شأنه أن يقلب الصاد إلى زاي مفخمة. ومن أمثلة ذلك، قولهم في: مَصْدر> مزدر. وفي أَصْدر> أزدر، وفي التَصْدير > التزدير.

maṣ/dar ← maz/dar ، ʿaṣ/dar ← ʿaz/dar ،

ʿat/taṣ/diir ← ʿat/taz/diir

وقد حاول سيبويه أن يعلل حدوث هذه الظاهرة على النحو الآتي:

١. يعد ورود هذين الحرفين – أي الصاد والدال، وهما من حروف طرف اللسان – متجاورين تجاوراً مباشراً في كلمة واحدة،

obeikandl.com

وأولهما ساكن، يعد من الأمور التي تُغلِّب إمكان وقوع تفاعل صوتي ما بينهما.

٢. غير أنه ليس من الممكن أن يكون هذا التفاعل الصوتي من نوع الإدغام نظراً لأن أحرف المجموعة الثانية، وهي الصاد وأختاها، لا تدغم في أحرف المجموعة الأولى التي من بينها الدال.

٣. وقد وقع التغيير، في هذه الحالة، على الحرف الأول، وهو الصاد، دون الحرف التالي له، وهو الدال، في حين وقع التغيير – على سبيل المثال- في كلمة "اصتبر" وأمثالها، على الحرف الثاني، وهو التاء، وليس الحرف الأول، وهو الصاد، فأصبحت – كما هو معلوم – اصطبر. والسبب في ذلك راجع إلى أن التاء في "اصتبر" وأشباهها- وهي تاء الافتعال- ليست من أصل الكلمة، ولهذا فإنها تعد اكثر قابلة للتغيير من حرف "الدال"، الذي يعد في كلمة "مصدر" وأمثالها حرفاً أصلياً في بنية الكلمة.

٤. قلبت الصاد في هذه الحالة إلى حرف الزاي، الذي يشترك معها في ملمح المخرج، والذي يعد أكثر شبهاً في الدال بسبب كونهما مجهورين.

ولكنهم حاولوا ألا يفقدوا الصاد -في أثناء عملية القلب والتغيير- ملمح الإطباق الذي تتسم به، الأمر الذي أدى إلى قلبها إلى المقابل المفخم المجهور لها، وهو حرف الزاي المفخم.

وقد نص سيبويه على ذلك بقوله:" ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق"[1]. ومع ذلك فقد ذكر سيبويه أنه سمع بعض العرب الفصحاء يقبلون الصاد في مثل التصدير، والفَصْد وأصْدرت، زاياً خالصة فيقولون في الكلمات السابقة: التزدير، والفزد، وأزدرت على التوالي.

ومن الجدير بالذكر أن قلب الصاد، في هذه الحالة، إلى زاي يتوقف على كون الصاد المتلوة بالدال ساكنة، أما إذا تحركت فإنها -على حد قول سيبويه - "لم تبدل، لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال"[2].

وتؤيد الدراسات الصوتية الحديثة ما ذهب إليه سيبويه، في هذا المجال، ذلك أن وقوع صوتين متجاورين أحدهما مهموس، والآخر

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٧٨.

(٢) السابق. ٤/ ٤٧٨. وكذلك، ابن جني: سر صناعة الإعراب. ١/ ٥١. ويُنظر كذلك. ص:٤٣. من هذه الدارسة.

مجهور، في داخل بنية واحدة من شأنه أن يحدث نوعاً من المشقة والعسر في الخروج والانتقال من جهر إلى همس، أو العكس في آن واحد.

لذا، فإن الناطق يعمد – على نحو غير شعوري- إلى تجهير المهموس – في الأعم الأغلب- كي يحدث بين الصوتين المتجاورين نوعاً من المماثلة في الصفة – وهي صفة الجهر هنا- مما يؤدي إلى تحقيق الانسجام والتناسب الصوتيين، ويزيل المشقة والعسر في أثناء النطق.

ففي كلمة "مَصْدر"، وما كان على غرارها، وقعت الصاد – وهي صوت مهموس- ساكنة قبل الدال، وهي صوت مجهور، مما ادى إلى تأثر الصاد بالدال تأثراً رجعياً حيث قلبت الصاد إلى مقابلها المجهور المطبق، وهو الزاي المطبقة، وذلك لإحداث مماثلة بين الصوتين المتحاورين في الصفة. وقد لمح سيبويه ذلك، على نحو ذكي، عندما حاول التعليل لهذه الظاهرة، فقال: "وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها. أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد"(١).

ومن ناحية أخرى، فإن بوسعنا عدَّ الأمثلة التي قدمها سيبويه في هذا المجال، وهي: مصدر، وأصدر، وتصدير، وما كان على شاكلتها –

(١) الكتاب. ٤/ ٤٧٨. ويُنظر كذلك:

ابن جني: سر صناعة الإعراب. ١/ ٥١٧.

من قبيل ما يطلق عليه الدرس الصوتي الحديث مصطلح المماثلة المتبادلة Reciprocal / Coalescent Assimilation، وهي مماثلة يتم بموجبها تأثر كل من الصوتين السابق واللاحق بالآخر.

ففي كلمة "مصدر"، وما كان على شاكلتها حصل تماثل متبادل، فقد أثر صوت الصاد المفخم المهموس – على الرغم من وقوعه ساكناً في نهاية المقطع الأول للكلمة – تأثيراً تقدمياً Progressive في صوت الدال المرقق المجهور المجاور له، مما أدى إلى طروء نوع من التفخيم عليه، وتحويله، أو، لنقل، إلى إشمامه صوت مقابله المفخم المجهور، وهو صوت الضاد. بيد أن الصوت الجديد الذي انقلب إليه صوت الدال، وهو، كما ذكرنا، صوت مفخم مجهور، أثر بدوره تأثيراً رجعياً Regressive في صوت الصاد المفخم المهموس، كما ذكرنا، بسبب وقوعه ساكناً في نهاية مقطع، مما أدى إلى قلبه إلى مقابله المفخم المجهور، ونعني به صوت الزاي المفخم، فأصبح ينطق على النحو الآتي: مزضر maẓḍar.

وتجدر الإشارة إلى أن صوت الصاد قد حافظ، في أثناء تأثره بالصوت المفخم المجهور المجاور له، على ملمح الصفير المتسم به، فضلاً عن ملمحه المفخم، وذلك على الرغم من ضعفه بالسكون. ويعود السبب في ذلك إلى أن "الصوت الصفيري أكثر قوة من الصوت

المطبق"[1]، من ناحية، وإلى كونه متسماً، إضافة إلى ملمح الصفير القوي، بملمح الاطباق من ناحية أخرى. ومعنى هذا أن صوت الصاد قد اعتمد، في أثناء عملية تأثيره في الصوت المجاور له، على ملمحي الصفير والاطباق، في حين حصنه هذان الملمحان من ضعف همسه وسكونه، فبقي، في أثناء عملية تأثره بالصوت المجاور له، مفخماً وصفيرياً، وإن كان قد تعرض، في إثناء تلك العملية، إلى استبدال ملمح الجهر بملمح الهمس، بتأثير جهر الصوت المجاور.

ب. مضارعة الشين والجيم للزاي:

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد عدّ سيبويه حرفي الشين والجيم مضارعين للزاي، في بعض الاستعمالات، وإن لم يكونا منتميين إلى مخرجها. والسبب في ذلك عائد إلى خاصة الاستطالة، التي تصل صوت الشين بمخرج الطاء، وتجعلها مخالطة لأعلى الثنيتين[2]، كما أن الجيم تحمل – في هذا المجال– على الشين بسبب اتحادهما في المخرج .

ومثلما قلبت الصاد المهموسة، بتأثير الدال المجهورة، في كلمة "مصدر" ونحوها، إلى مقابلها المجهور المفخم المشترك معها في المخرج،

(١) عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. ص:٢١٨.

(٢) الكتاب. ٤/ ٤٥٧، ٤٧٩.

وهو صوت الزاي المفخم، كذلك، فإن كلاً من الشين والجيم يُقلب إلى حرف مضارع للزاي، ولكنه يختلف عنه بعض الاختلاف، وقد نص سيبويه على ذلك عندما قال: "ولا يجوز أن يجعلها زاياً خالصة، ولا الشينَ ، لأنهما ليسا من مخرجها"[1].

(٢) التحولات التي يمكن أن يتعرض لها حرف السين:

يتعرض حرف السين –كما ذكر سيبويه– إلى التحولات الآتية:

أ. س > ص :

تتحول السين، عندما ترد سابقة حرف القاف، أو الخاء، أو الغين، إلى صاد، حتى في بعض الحالات، التي يكون التجاور بين السين وأيٍّ من هذه الأحرف الثلاثة غير مباشر؛ ومن الأمثلة على ذلك، قولهم في: سُقْت وسبقت وسالغ وسلخ، صقت وصبقت وصالغ وصلخ على التوالي.

ففي هذه الأمثلة وقعت السين، وهي أحد أحرف الفم، أو لنقل أحد أحرف طرف اللسان، متلوة بأحد الحروف المستعلية الخلفية الثلاثة، وهي: القاف، والخاء والغين، مما أدى إلى تأثرها بهذه الأصوات المستعلية تأثراً رجعياً، وقلبها إلى مقابلها المطبق وهو صوت الصاد، الذي يشترك

(١) الكتاب. ٤/ ٤٧٩.

معه في ملامح الرخاوة، والهمس، والصفير، وذلك من أجل إحداث نوع من المماثلة الصوتية بين الأصوات المتجاورة، أو –على حد قول سيبويه– "ليكون العمل من وجه واحد"[1].

وقد ذهب سيبويه – في موضع سابق من كتابه– إلى أن تحول السين السابقة للقاف إلى صاد، وبقاء السين تالية لها على حالها، يعود – حسب رأيه– إلى سهولة الانتقال من حال الاستعلاء إلى وضع الاستفال، أو ما يسمى بعملية الانحدار، وذلك على خلاف عملية الانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء، أو ما يُسمى بعملية الاصعاد، وهو أمر صعب كما ذكر هذا العالم. وفي هذا يقول:" فإذا كان حرف من هذه الحروف قبل الألف بحرف وكان مكسوراً، فإنه لا يمنع الألف من الإمالة، وليس بمنزلة ما يكون بعد الألف، لأنهم يضعون ألسنتهم في موضع المستعلية، ثم يصوِّبون ألسنتهم، فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد. ألا تراهم قالوا: صَبقْتُ، وصُقْتُ، وصُوَيق، لمّا كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفُّل ثم يصعِّدون ألسنتهم، أرادوا ان يكونوا في حال استعلاء، وألا يعملوا في الإصعاد بعد التسفل، فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعاً واحداً".[2]

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨٠.

(٢) السابق. ٤/ ١٣٠.

وبالمثل فإن صوت السين يتحول إلى صاد أيضاً، وذلك في حالة وقوعه مع الطاء في بنية واحدة، كقولهم في ساطع، صاطع. ويعود السبب في ذلك إلى أن صوت الطاء يتصف بملمح الاطباق، فضلاً عن قرب مخرجه من مخرج السين حسب التصنيف القديم، الأمر الذي يسوغ تحويل السين إلى صاد لتحقيق مماثلة صوتية بين الأصوات المتجاورة.

ويعد سيبويه قلب السين إلى صاد، في هذه الحالة، أولى من قلبها إلى صاد، في حالة اجتماعها مع القاف[1].

وقد نص ابن يعيش على أن وقوع السين قبل أصوات الطاء، والقاف، والخاء، والغين من شأنه أن يقلب السين صاداً، وذلك "من قبل أن هذه الحروف (في رأيه) مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستفل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً، لأن الصاد توافق السين في الهمس، والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف"[2].

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨٠.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ٥١-٥٢. وكذلك:
ابن جني: الخصائص. ٢/ ١٤٢-١٤٣.

ب. س > ز:

تتحول السين، عندما ترد سابقة حرف الدال – وهما في هذه الحالة حرفان أصليان يقعان معاً في كلمة واحدة – إلى زاي، وذلك في مثل: يسْدُل > يَزْدل ، والتسْدير > التزدير(١).

ʾat/taz/diir ← ʾat/tas/diir،yaz/dul ← yas/dul

ويعود ذلك إلى ظاهرة المماثلة الصوتية، التي تقتضي – في هذه الحالة – تأثر صوت السين المهموس بصوت الدال المجهور تأثراً رجعياً، مما يؤدي إلى تجهير السين وقلبه إلى المقابل المجهور له، وهو صوت الزاي، الذي يشترك مع السين في المخرج، والصفير، ويشترك مع الدال في الجهر، مما يؤدي إلى تجانس الصوتين، كما نص ابن يعيش(٢).

ويذكر سيبويه – عقب ذلك– أن البيان، وعدم القلب والإبدال، في هذه الحالة وأمثالها، أحسن. ثم ينص أيضاً على أن البيان، في حالتي تحويل السين والصاد إلى زاي – مطبقة وغير مطبقة – أولى، وإن كان القلب وتحويل السين إلى زاي أقل منه في حالة الصاد(٣).

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٧٨.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ٥٢.

(٣) الكتاب. ٤/ ٤٧٩.

obeikandi.com

(٣) استعمالات بنيوية خاصة للتخفيف:

ناقش سيبويه – في نهاية مطافه في باب إدغام- بعض الحالات الخاصة، التي تستعمل فيها بعض الكلمات مخففة، وقد تمثلت هذه الحالات في البنى الآتية:

أ. سِدْسٌ:

من الممكن أن تتحول بنية هذه الكلمة إلى "ستٌ". ويعلل سيبويه – ومعه لغويون آخرون – هذا التحول على النحو الآتي[1]:

١- تتقارب أحرف هذه الكلمة، التي يكثر استعمالها، مخرجياً. كما أن الحاجز الصوتي الواقع بين الحرفين المثلين- وهما حرفا السين- ليس قوياً لسكونه.

٢- يمتنع إدغام السين في الدال، نظراً لأن أحرف المجموعة الثانية وهي السين وأختاها، لا تدغم في أحرف المجموعة الأولى ومن بينها الدال.

٣- يؤدي إدغام الدال في السين – وهو أمر ممكن- إلى تواجد ثلاث سينات في بنية كلمة واحدة، "فكرهوا ذلك لأنهم إذ كرهوا السينين بينهما دال، كانوا لاجتماع ثلاث سينات ليس بينهما حاجز

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨١-٤٨٢.

أكره"[1].

٤- لذا يبدل بحرف السين الأخير، في البنية، أكثر الحروف شبهاً به من مخرج الدال، وذلك الحرف هو التاء، الذي يشترك مع السين في ملمح الهمس، فتصبح الكلمة هكذا "سِدْتٌ"، "sid/tun"، ولما كان الادغام بين عناصر المجموعة الأولى امراً ممكناً، فإن الدال، التي وقعت قبل التاء ساكنة، تدغم في التاء لثقل إظهارها، كما ذكر ابن يعيش[2]. فتصبح بنية الكلمة –في صورتها الأخيرة – على النحو الآتي"ستّ". "sit/tun".

ب. يبجل:

اقتضى تحويل الواو، في الكلمة"يوْجل" "yuw/gil" إلى ياء، اجتلاب الكسرة الواردة في كلمة"يِبْجَل"، "yiy/gal"، وهذا هو ما حدث في كلمة"أَدْلُو" "ʔad/luw" التي اقتضى تحويل الواو فيها إلى ياء، اجتلاب الكسرة للام، فأصبحت "أدْلٍ" "ʔad/lin" وذلك على غرار اقتضاء الإدغام في كلمة "سدس" تحويل السين الأخيرة إلى تاء.

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٥٣.

(٢) السابق. ١٠/ ١٥٣.

obeikandi.com

ت. وَتِد وَعِتْدان:

من الممكن – في هاتين البنيتين وأمثالهما- إدغام التاء في الدال، نظراً لأن هذين الحرفين من عناصر المجموعة الأولى، التي يجوز وقوع الإدغام فيما بينها. فتصبحان على النحو الآتي: "ودٌّ" و"عِدّان"، wad/dun وʿid/daan، غير أن وقوع الإدغام، في هذه الحالة، من شأنه أن يؤدي إلى حدوث لَبْس في البنى الصرفية. ومع ذلك، فإن التميميين يجرون الإدغام، في حين يؤثر الحجازيون البيان، وعدم الإدغام.(١)

ث. أحسَسْت، ومسسْت، وظللْت:

تتحول هذه البنى – شذوذاً كما يقول سيبويه(٢)- إلى: أَحَسْتُ وَمَسْتُ وظَلْتُ ʾa/ḥas/tu، mas/tu، ẓal/tu على التوالي. وتعليل ذلك أن العرب، أو لنقل بعضهم، كرهوا التضعيف في هذه الكلمات، وأمثالها، لكثرة ترددها في كلامهم، كما أنهم كرهوا الإدغام أيضاً، لما يحدثه ذلك من خروج على القاعدة، التي تقضي بتسكين الحرف السابق لضمير الرفع في الماضي، فلجأوا –من ثمة– إلى حذف ثاني الحرفين المثلين

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٥٣. وكذلك: ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٧١٦.

(٢) الكتاب. ٤/ ٤٨٢.

تخفيفاً لَمَّا تعذر التخفيف بالإدغام فأصبحت هذه البنى : أحسْتُ، ومسْتُ، وظَلْتُ ʾa/ḥas/tu، mas/tu، ʾal/tu على التوالي.(١)

ج. يستطيع:

(١) من الممكن أن تتحول هذه البنية إلى"يسطيع" yas/ṭiiʿ. وذلك عائد إلى كثرة تردد هذه الكلمة، واستعمالها في الألسن، وإلى أن إدغام التاء في الطاء – وهو أمر ممكن نظراً لكونهما من عناصر المجموعة الأولى القابلة لوقوع الإدغام فيما بينها – يفْرضُ تحرك السين، بسبب نقل حركة التاء إليها، وهي لا تحرك في هذه الصيغة أبداً، إذ لاحظَّ لها في الحركة كما يذكر الرضي(٢)، مما جعلهم يلجأون إلى حذف التاء، عند قصد التخفيف، لاستثقال اجتماع التاء، والطاء مبينتين في الكلمة الواحدة.

وفي رأينا أن السبب الذي أدى إلى حذف التاء، في هذه الحالة، بقصد التخفيف، يعود إلى أن هذه الكلمة قد اشتملت على ثلاثة أحرف متجاورة المخرج، وهي: السين، والتاء، والطاء، الأمر الذي أدى إلى استثقال النطق بهذه البنية على هذا النحو.

(٢) ومن الممكن أن تتحول هذه البنية نفسها إلى "يستيع"

---

(١) ابن عصفور: الممتع في التصريف. ٢/ ٦٦١. ويُنظر تفصيل ذلك في ص:٢١٩-٢٢٠. من هذه الدراسة.

(٢) الرضي: شرح الشافية. ٣/ ٢٩٢.

yas/tiiᶜ بحذف الطاء، وذلك على غرار حذف لام "ظلت"، أو أن الطاء التالية للسين – وهي حرف مجهور في تصنيف القدماء- في كلمة يسطيع السابقة قد قلبت إلى تاء بتأثير السين المهموسة عليها تأثيراً تقدمياً، وذلك لإحداث تماثل صوتي بين الحرفين المتجاورين في ملمح الهمس. وفي هذا يقول سيبويه: "وقال بعضهم في يستطيع يستيع...، أبدلوا التاء مكان الطاء ليكون ما بعد السين مهموساً مثلها"(١).

ح. اتَّقيت، ويتَّقي، ويتَّسع:

يمكن أن تخفف هذه البنى شذوذاً، على رأي سيبويه(٢)، فتصبح: تَقَيْت، وَيَتقي، ويَتَسِع taqayt ، yataqii، yatasiᶜ على التوالي. ويتم ذلك – كما هو واضح – بحذف التاء الأولى من هذه الكلمات. ويعود السبب، في إمكان هذا الحذف، إلى كثرة استعمال هذه الكلمات، الأمر الذي يدفع بعض الناطقين إلى التخفيف بوساطة الحذف.

خ. اتَّخذَ:

من الممكن أن تتحول هذه البنية إلى "استخذ"(٣)، ويذكر سيبويه ان التاء الأولى، في هذه الكلمة، قد أُبدلت سيناً لكثرة الاستعمال،

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨٤.

(٢) السابق. ٤/ ٤٨٣. وكذلك: الرضي: شرح الشافية. ٣/ ٢٩٣.

(٣)الكتاب. ٤/ ٤٨٣-٤٨٤،وكذلك،الرضي:شرح الشافية.٣/ ٢٩٤.على التوالي.

وكراهية التضعيف، فضلاً عن كون السين أقرب الحروف إلى التاء من حيث ملمحا المخرج والهمس. ولعل ما حدث في هذه الكلمة، في هذه الحالة، يعود إلى ما يسمى بالمخالفة الصوتية Dissimilation.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد تكون هذه الكلمة على وزن "استفعل" أي"استَتْخَذ" ʔis/tat/xa/ὸa ثم حذفت منها التاء للتخفيف وكراهية التضعيف، مما أدى إلى تكوين بنيتها الجديدة "استخذ". ʔis/ta/xa/ὸa.

د. اضطجع:

ذكر سيبويه أن بالإمكان تحول هذه البنية إلى "الطجع"[1] بقصد التخفيف في النطق. وقد سوغ ذلك – من وجهة نظر هذه العالم– كراهية بعض العرب للجمع بين حرفين مطبقين، الأمر الذي أدَّى إلى قلب الضاد إلى أقرب الحروف منها في ملمحي المخرج والانحراف[2]، ونعني به اللام. وقد استشهد اللغويون على ذلك بقول الراجز:

لما رأى أن لا دعه ولا شِبَعْ

مالَ إلى أرطاة حِقْفٍ فالطجعْ

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨٣.

(٢) تؤدي خاصة الاستطالة في الضاد إلى اتصالها بمخرج اللام، يُنظر: الكتاب. ٤/ ٤٥٧.

obeikandi.com

وعقبوا على قوله "فالطجع" بأنه شاذ[1].

وتجدر الإشارة إلى أن التشكل البنيوي الجديد "الطجع" ʾil/ṭa/ga/ʿa المنقلب عن البنية الأصلية "اضطجع" ʾiḍ/ṭa/ga/ʿa يعدّ أيضاً من قبيل المخالفة الصوتية التي مر ذكرها قبل قليل؛ فقد اجتمع في هذه البنية صوتا الضاد والطاء، وهما صوتان يجمع بينهما ملمح التفخيم القوي، فضلاً عن وقوع أولهما، وهو صوت الضاد، ساكناً في نهاية مقطع، مما أدى إلى إضعافه بالسكون. ولقد حصل بين هذين الصوتين المتماثلين، في هذا الملمح القوي، تخالف صوتي تمثل باستبدال صوت اللام بصوت الضاد على النحو الآتي: "الطجع"، ʾil/ṭa/ga/ʿa ويتسم صوت اللام، ومعه أصوات الراء والنون والميم، بالملمح المائع أو الرنان Liquid/Resonant Feature، الذي يتسم بالوضوح السمعي Sonority، ومن المعلوم أن الأصوات المائعة، ومعها الحركات الطويلة Long Vowels، هي الأصوات التي يمكن أن يحل أحدها محل أحد الصوتين المتماثلين اللذين يجد الناطق مشقة في تحقيقهما، الأمر الذي من أجله يعمد الناطق إلى إحداث المخالفة الصوتية بينهما[2].

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. هامش ١٠/ ٤٦. وكذلك:الرضي: شرح الشافية. ٣/ ٢٢٦، ٢٩٤، ٤/ ٢٧٤-٢٧٥، وكذلك:اللسان. مادة (ضجع)

(٢) ينظر ص:٢٢٠-٢٢١ من هذه الدراسة.

ذ. بني العنبر وبني الحارث وأمثالهما:

من الممكن أن تتحول هذه البنى، التي تظهر فيها لام المعرفة، – في رأي سيبويه– إلى: بلعنبر، وبلحارثbal/ᶜan/bar، bal/ḥaa/riθ، فقد أسقطت في هذه التراكيب – التي يكثر استعمالها– وما كان على غرارها – الياء الفاصلة بين نون "بني" ولام المعرفة ، لالتقاء الساكنين، ثم حذفت النون لقرب مخرجها من اللام، وقد لجأ الناطقون، أو لنقل بعضهم– إلى النطق بهذه البنى على هذا النحو، لإحداث تخفيف في النطق بها عن طريق الحذف، حين تعذر عليهم ذلك بوساطة الإدغام، لئلا يؤدي ذلك إلى التقاء ساكنين، فضلاً عن كون هذه البنى تتألف من كلمتين منفصلتين(١).

أما في حالة عدم ظهور لام المعرفة في بعض البنى، من مثل: بني النجار، وبني النمر، وبني التيم، وغيرها، فلا تحذف النون؛ لئلا يؤدي ذلك إلى إجراء عمليتي الإدغام والحذف معاً.

وقد ألحق سيبويه، بهذه الحالة، قول بعض العرب في "على الماء بنو فلان" ᶜal/maa/ʔi/ba/nuu/fu/laan. فقد اسقطت في هذا التركيب – وما كان على شاكلته – همزة الوصل من الكلام بسبب

(١) الكتاب. ٤/ ٤٨٤.

الدَّرْج، كما نصَّ ابن يعيش[1]، مما أدى إلى اجتماع مثلين هما لام على، ولام المعرفة، فحذفت اللام الأولى، لكراهية التضعيف، ولإحداث نوع من التخفيف في النطق.

(١) ابن يعيش: شرح المفصل. ١٠/ ١٥٥.

obeikandl.com

ملحوظـــات:

اعتمد سيبويه، في الحالات التي ذكرها للإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا، على كثير من المبادئ، التي استند إليها في الباب السابق.

ومن أمثلة تلك المبادئ، المحافظة على الملمح المميز للصوت، وكثرة استعمال العنصر الصوتي، أو الصيغة المعينة، وغيرها. ومع ذلك، فقد استند هذا العالم – في مناقشته لحالات وقوع الإدغام أو عدمه في هذا الباب– إلى مبادئ أخرى، من أهمها:

(١) كثرة وقوع الإدغام في حروف هذا الباب:

نص سيبويه، في مواضع كثيرة، على أن وقوع الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا أقوى منه في غيرها من الحروف الأخرى.

(٢) سلوك عناصر المجموعة الأولى:

تقبل عناصر المجموعة الأولى من حروف طرف اللسان والثنايا، وهي: الطاء، والدال، والتاء، الإدغام في أية عناصر تابعة لأي مجموعة أخرى تالية لها. أما العكس، ونعني به إدغام عناصر المجموعات الأخرى في عناصر المجموعة الأولى، فلا يتحقق إلا في حالة المجموعة الثالثة التي تشمل أحرف" الظاء، والثاء، والذال. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن عناصر هذه المجموعة، تنتمي إلى مخرج متوسط في الفم

بالقياس إلى عناصر المجموعات الأخرى التي تحيط بها من الجانبين الأمامي والخلفي.

(٣) وجود صفة مميزة للمجموعة:

يؤدي اتِّسام مجموعة صوتية معينة بصفة مميزة لها إلى امتناع إدغام عناصر هذه المجموعة في عناصر غيرها من المجموعات الأخرى. ومن الأمثلة على ذلك امتناع إدغام عناصر المجموعة الثانية، وهي: الصاد، والسين، والزاي، في أية عناصر تابعة لأي مجموعة، من المجموعات الأخرى. والسبب في ذلك يعود إلى المحافظة على الملمح الصفيري الذي تتصف به هذه المجموعة، والذي يتعرض للضياع في حالة إدغامها في غيرها من العناصر الأخرى.

وبالمثل، فإن عناصر المجموعتين الرابعة، والخامسة، وهي الضاد والشين لا تقبل الإدغام في عناصر المجموعات الأخرى، وذلك من أجل المحافظ على خصائص هذين الصوتين، المتمثلة في الاستطالة والتفشي، التي من شأنها أن تتعرض للضياع في حالة وقوع الإدغام بينها وبين عناصر المجموعات الأخرى.

(٤) الإدغام في حالة الاتصال:

يعد الإدغام في حالة اتصال عنصرين أقوى منه في حالة كون هذين العنصرين منفصلين، والأمثلة على ذلك كثيرة، وفي هذا يقول

سيبويه:" وإذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرف واحد، ولم يكن الحرفان منفصلين ازدادا ثقلاً واعتلالاً، كما كان المثلان إذ لم يكونا منفصلين أثقل؛ لأن الحرف لا يفارقه ما يستثقلون"[1].

(٥) تؤدي كثافة حروف طرف اللسان والثنايا، وتقاربها جميعاً في المخارج – على نحو عام – إلى تشجيع حدوث تخفيف النطق بها حال اجتماعها معاً في داخل البنية . ويتم ذلك – أحياناً– بخروج الإدغام عن أصله، الذي يقضي بإدغام الأول في الآخر. ومن الأمثلة على ذلك قولهم في: "مثترد"، "مثَّرد"، muθ/ta/rid ← muθ/θa/rid، وقولهم في: "مستمع" "مسَّمع"mus/ta/mi^{c} ← mus/sa/mi^{c} حيث أدغم – في هاتين الكلمتين– الآخِر في الأول على غير قاعدة الأصل في الإدغام.

ويمكن أن يتحقق التخفيف في هذه الحروف بوسائل أخرى غير الإدغام، كحذف أحد الحرفين المثلين أو المتقاربين.

(٦) تقبل عناصر كل مجموعة، غير أحادية المكونات، وقوع الإدغام بينها على نحو متبادل.

---

(١) الكتاب. ٤/ ٤٦٧.

obeikandl.com

خاتمـــــــــة

وبعد، فقد حاولنا، في هذه الدراسة، التي وصلنا إلى شطآنها، إلقاء الضوء على الغرس الصوتي البكر، الذي أودعه شيخ العربية سيبويه بتألق وتفوق، في أحشاء التربة اللغوية في وقت جدِّ مبكِّر من عمر الحضارة الإنسانية ومسيرتها.

وكان منهج سيبويه، في دراسته الصوتية، يقوم على دراسة الصوت اللغوي مفرداً ومركباً. وهو المنهج الذي يستند إليه الدرس الصوتي الحديث بمستوييه: الفوناتيكي Phonetics، والفونولوجي Phonology.

ولقد تمثل الفكر الصوتي لهذا العالم -كما اتضح لنا- في ثلاثة اتجاهات عامة :

الاتجاه الأول: وفيه انصب جهد سيبويه على دراسة الصوت اللغوي مفرداً؛ فبحث – من خلال هذا المستوى من الدرس - في الحروف العربية الأصلية، والحروف العربية الفرعية، مستحسنة وغير مستحسنة. ثم انتقل – بعد ذلك- إلى الحديث عن مخارج الأصوات العربية وأحيازها التي تنتمي لها كل مجموعة صوتية، والصفات والملامح التي يتسم بها كل صوت. وقد خصصنا – في نهاية حديثنا عن هذا

الجانب من الدرس الصوتي السيبويهي- فصلاً حاولنا فيه عقد بعض المقارنات الخاطفة بين تصورات سيبويه لملامح بعض الأصوات العربية وخصائصها والتصورات الصوتية الحديثة لتلك الأصوات.

الاتجاه الثاني: وفيه انتقل سيبويه إلى دراسة الصوت اللغوي مركباً داخل البنى اللغوية، وذلك في إطار موضوع عام أطلق عليه سيبويه – وغيره من اللغويين العرب- مصطلح الإدغام. ولقد كان هذا الموضوع مدخلاً عاماً لدى القدماء – ومنهم شيخنا، أو لنقل على رأسهم شيخنا- لمعالجة الكثير من القضايا الصوتية، وخاصة ما كان منها متعلقاً بجانب الدرس الفونولوجي للصوت ووظيفته، مؤلَّفا ومنظوماً، داخل البنية اللغوية حية منطوقة.

أما الاتجاه الثالث: فيعد – في رأينا- امتداداً لسابقه، وإن كان صاحبه قد خصَّصه لظاهرة الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا. وعلى غرار ما قام به سيبويه – في الاتجاه السابق- من معالجة الأصوات "فونولوجياً" في إطار البنى اللغوية، فقد جاءت دراسته للإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا مسايرة لذلك الاتجاه، وإن اختلفت عنه في طرائق التناول، وأساليب المعالجة، ونماذج التطبيق.

وكان سيبويه، في درسه للغة بمستواها الصوتي- كما كان درسه لها بمستوييها الصرفي والنحوي- أُستاذاً مالكاً لناصية اللغة، وشيخاً عالماً بأسرارها، ومعلماً هادياً إلى الكثير من دقائقها. ولقد أرسى، في كل ما قدَّمه، في هذا المجال، القواعد المكينة، والأسس الرصينة لمن جاء بعده من العلماء الذين امتاحوا من معينه الثر، واغترفوا من منهله الصافي،... وكثير ما هم.

وختاماً، فليست هذه الدراسة، في منهجها وأُسلوب معالجة موادها، إلا محاولة، أو مجرد محاولة، للاقتراب من ذلك الهرم العلمي الشامخ في عالم فكرنا اللغوي. ونحن في هذا لا ندعي أننا قد وفينا بها حق الوفاء. وكل ما نزعمه لأنفسنا أننا أردنا الوفاء، ولم ندخر في سبيله شيئاً من جهد أو وقت.

وإذا تخلل عملنا هذا شيءٌ من قصور أو نقص، وهو أمر لا نبرئ أنفسنا منه، فإننا نرجو المولى عز وجل أن ينفع به، وأن يهيِّئ له من الأقلام المخلصة ما يقوِّم معوجه، ويصلح خطأه.

والله الموفق إلى عمل الخير، وخير العمل، وهو من وراء القصد.

المراجع والمصادر

أولاً- المراجع العربية:

د. إبراهيم أنيس:

١. الأصوات اللغوية، ط:٥. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٧٥م.

٢. في اللهجات العربية. ط:٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٦٥م.

ابن أحمد، الخليل:

٣. كتاب العين. تحقيق د. عبد الله درويش. بغداد: مطبعة العاني. ١٩٦٧م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي:

٤. النشر في القراءات العشر. نشر: علي محمد الضباع. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:

٥. سر صناعة الإعراب. ط:١. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي. ١٩٥٤م.

obeikandl.com

٦. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة. ١٩٥٢-١٩٥٦م.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد:

٧. وفيات الأعيان. تحقيق: د. إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ١٩٦٨-١٩٧٢م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن:

٨. جمهرة اللغة. تحقيق: محمد السورتي، وفريتس كرنكو، حيدر أباد الدكن بالهند. ١٣٤٤-١٣٥١هـ.

ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن:

٩. الممتع في التصريف. ط:٤. تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة. ١٩٧٩م.

ابن مسعود، أحمد بن علي:

١٠. مراح الأرواح في علم الصرف، بشرح ديكنقوز وابن كمال باشا. ط:٢. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي. ١٩٣٧م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

١١. معجم ليان العرب. تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين. القاهرة: دار المعارف. ١٩٨٠م.

obeikandl.com

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق:

١٢. الفهرست. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. ١٩٧٨م.

ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين:

١٣. شرح المفصل. بيروت:عالم الكتب. والقاهرة: مكتبة المتنبي.

أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي:

١٤. الإبدال. تحقيق: عز الدين التنوخي. ط:١. دمشق: مجمع اللغة العربية. ١٩٦١م.

١٥. مراتب النحويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢. القاهرة: دار الفكر العربي. ١٩٧٤م.

د. أحمد مختار عمر:

١٦. دراسة الصوت اللغوي. ط:١. القاهرة: عالم الكتب. ١٩٧٦م.

أرتور شاده:

١٧. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثالثة، العدد الخامس، ١٩٣١م.

obeikandi.com

الأزهري، خالد بن عبد الله:

١٨. شرح التصريح على التوضيح. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية.٢٠٠٠م.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن:

١٩. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٥م.

البغدادي، عبد القادر:

٢٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. بولاق. ١٢٩٩هـ

برتيل مالمبرج:

٢١. علم الأصوات. تعريب ودراسة الدكتور عبد الصبور شاهين. القاهرة: مكتبة الشباب. ١٩٨٤م.

برجشتراسر:

٢٢. التطور النحوي للغة العربية. أخرجه وصححه وعلق عليه، الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٨٢م.

د. تامر سلوم:

٢٣. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. اللاذقية: دار

obeikandl.com

الحوار للنشر والتوزيع. ١٩٨٣م.

د. تمام حسان:

٢٤. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٣م.

٢٥. مناهج البحث في اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٥م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

٢٦. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:١. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨-١٩٥٠م.

جان كانتينو:

٢٧. دروس في علم أصوات العربية. ترجمة: صالح القرمادي. تونس. ١٩٦٦م.

جوزيف فندريس:

٢٨. اللغة. ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٠م.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي:

٢٩. معجم الأدباء. ط:٣. بيروت: دار الفكر للطباعة

obeikandl.com

والنشر والتوزيع. ١٩٨٠م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي:

٣٠. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. القاهرة: مطبعة السعادة. ١٣٤٩هـ.

د. رمضان عبد التواب:

٣١. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٨١م.

٣٢. لحن العامة والتطور اللغوي.ط:١. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٧م.

٣٣. المدخل إلى علم اللغة. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٨٠م.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن:

٣٤. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مطبعة السعادة. ١٩٥٤م.

سيبويه، عمرو بن عثمان:

٣٥. كتاب سيبويه. ط:٣. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: عالم الكتب. ١٩٨٣م.

obeikandl.com

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله:

٣٦. أخبار النحويين البصريين. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، وطه محمد الزيني. القاهرة: ١٩٥٥م.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين:

٣٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. ١٩٦٤م.

٣٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين. ط:١. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٩. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

د. عبد الرحمن أيوب:

٤٠. أصوات اللغة. ط:٢. القاهرة: مطبعة الكيلاني. ١٩٦٨م.

د. عبد الصبور شاهين:

٤١. في التطور اللغوي. ط:١. القاهرة: المطبعة العالمية. ١٩٧٥م.

٤٢. المنهج الصوتي للبنية العربية. القاهرة: مطبعة جامعة

obeikandl.com

القاهرة والكتاب الجامعي. ١٩٧٧م.

علي النجدي ناصف:

٤٣. سيبويه إمام النحاة. ط:٢. القاهرة: عالم الكتب. ١٩٧٩م.

فاطمة محجوب:

٤٤. دراسات في علم اللغة. القاهرة: دار النهضة. ١٩٧٦م.

القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم:

٤٥. ذيل الأمالي والنوادر. لبنان: منشورات دار الحكمة.

القفطي، جمال الدين علي بن يوسف:

٤٦. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الكتب المصرية. ١٣٩٦هـ.

د. كمال محمد بشر:

٤٧. دراسات في علم اللغة. ط:٢. القاهرة: دار المعارف. ١٩٧١م.

٤٨. علم اللغة العام، الأصوات. ط٧، القاهرة: دار المعارف. ١٩٨٠م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

٤٩. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة:

obeikandl.com

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ١٩٦٣-١٩٦٨م.

محمد جواد النوري، وعلي خليل حمد:

٥٠. فصول في علم الأصوات. نابلس: مطبعة النصر التجارية. ١٩٩١م.

محمد علي الخولي:

٥١. معجم علم اللغة النظري. بيروت: مكتبة لبنان. ١٩٨٢م.

محمد المبارك:

٥٢. فقه اللغة وخصائص العربية. ط:٧. دمشق: دار الفكر. ١٩٨١م.

محمد نمر حماد:

٥٣. اتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد. نابلس. ١٣٢٣هـ.

د. محمود السعران:

٥٤. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. دار المعارف بمصر. ١٩٦٢م.

مكي بن أبي طالب القيسي:

٥٥. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ط:٢.

obeikandl.com

تحقيق: د.أحمد حسن فرحات. عمّان: دار عمار. ١٩٨٤م.

٥٦. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق: د. محيي الدين رمضان.دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية. ١٩٧٤م.

هنري فليش:

٥٧. العربية الفصحى. ترجمة د. عبد الصبور شاهين. بيروت: المطبعة الكاثوليكية. ١٩٦٦م.

٥٨. العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة: د. عبد الحليم النجار. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٥١م.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1- Al-Ani, Salman, Arabic Phonolgy. Indiana University, Mouton, 1970.
2- Beeston, A.F.L. The Arabic Language today, London,1970.
3- Brosnahan, L.F. and Malmberg, B. Introduction to Phonetics. Cambridge, 1976.
4- Crystal, David, A First Dictionary of Linguistics and Phoetics. London, 1980.
5- Hartmann, R.R.K. and Stork, F.C. A Dictionary of Language and Linguistics.

obeikandl.com

London, 1976.
6- Hockett, Charles, A coursc in Modern Linguistics, New York Macmillan, 1958.
7- Jones, Daniel, An outline of English Phonetics, Cambridge, Heffer. 1957.
The Pronunciation of English.
8- Ladefoged, Peter, A course in Phonetics, Harcourt Brace, Javanovich, Inc, New York, 1975.
9- Pei, Mario, Glossary of Linguistic Terminology, New York, 1966.
10- Pei, Mario, and Gaynor, Frank. Dictionary of Linguistics, New Jersy, 1980.
11- Wardhaugh, Ronald, Introduction to Linguistics, McGraw Hill, New York, 1977.

obeikandl.com